السجود لله

إن الله تعالى شرَّع لعباده الشريعة وأمرهم أن يعبدوه على منهاجها وأن يسيروا على صراطها لتزكو نفوسهم وتستقيم عقولهم وتستنير قلوبهم وليرتقوا بعباداتهم من حضيض البهيمة الحيوانية إلى مستوى الملكوتية الربانية، وشتان بين الرتبتين لهذين الإنسانين، لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عِمرَان، الآية: ٧٩] .

والإنسان الأرضي الحيواني الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعرَاف، الآية: ١٧٦] .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**وَمَا مِن عَبْدٍ يَسْجُدُ لله سَجدَةً إلا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِها حَسَنةً، ومَحَا عَنْهُ بِها سَيِّئةً، ورَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً، فاسْتَكْثِرُوا مِنَ السُّجُودْ**»(١).

شرح الحديث:

فليس في الوجود من هو أجدر من الله تعالى بأن يحب، فهو صاحب الفضل والإحسان فالذي خلق الإنسان ولم يكن شيئاً مذكوراً، وخلق له ما في الأرض جميعاً وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وكرَّمه على كثير من خلقه ورزقه من الطيبات وعلَّمه البيان واستخلفه في الأرض ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، فمن أولى من الله بأن يُحب؟ ومن يحب الإنسان إذاً إنْ لم يُحب الله تعالى؟ إن أساس محبة الله تعالى هو الشعور بفضله ونعمته وإحسانه ورحمته والإحساس بجماله وكماله، فمن عرف الله أحبه،

---

(١) صحيح رواه ابن ماجه.

وبقدر درجته في المعرفة تكون درجته في المحبة ولهذا كان رسول الله ﷺ أشد الناس حباً لله لأنه كان أعرفهم بالله، وكانت قرَّة عينه في الصلاة لأنها الصلة المباشرة بين قلبه وبين الله، وكان في دعائه يسأل الله الشوق للقائه ولذة النظر إلى وجهه سبحانه، ولما خُيِّر بين البقاء في الدنيا وبين اللحوق بربه قال: «**أختار الرفيق الأعلى**».

وهكذا كان المسلمون الأولون يفعلون، فكان الحسن بن علي إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه فسئل عن ذلك فقال: (إن الله جميل يحب الجمال فأحب أن أتجمل لربي) وهو تعالى يقول: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعرَاف، الآية: ٣١].

وقد كان من العرب من يعبد الأجرام السماوية ولا سيما الشمس والقمر وكانوا يسمون الشمس الآلهة، وكان بعض العرب يعبد الملائكة والجن وجاء الإسلام فأبطل ما كان عليه العرب من عبادة غير الله وقرر التوحيد المطلق لله في الذات والصفات والتوجه له بالعبادة وحده لقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البَقَرَة، الآية: ١٦٣] لهذا فإن الله يكرم من يسجد له سجدة فيرفع الله له بها درجة ومحا عنه بها سيئة، وقد أوحى الله إلى بعض النبيين: إذا دخلت الصلاة فهب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينيك الدموع فإني قريب مجيب.

دليل قرآني

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [الحَجّ، الآية: ٧٧].

قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفَتح، الآية: ٢٩].

قال تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨﴾ [الحِجر، الآية: ٩٨].

وصيّة نبوية

عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من حالَةٍ يكونُ العبدُ عليها أحبُ إلى اللهِ مِن أن يراهُ ساجِداً يعفِّرُ وجههُ في التُّراب**»(١).

بكاء السَّماء والأرض

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبدٍ إلا ولهُ بابان، بابٌ يصعدُ منه عملُه وبابٌ ينزلُ منه رزقُهُ فإذا ماتَ فقداهُ وبكيا عليهِ وتلا قولهُ تعالى:** ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدّخان، الآية: ٢٩] »(٢).

يعني فما بكت السماء والأرض على موت الكافر وإنما تبكي على موت المؤمن الصالح بكاء خاصاً للمؤمن.

عن مجاهد ﷺ أنه قال: ما مات مؤمن إلا وبكت عليهِ السَّماءُ والأرض أربعين صباحاً فقيلَ لهُ: أتبكي؟! فقال: أتعجبون! وما للأرض لا تبكي على عبدٍ كانَ يعمُرها بالركوعِ والسجودْ. وما للسَّماء لا تبكي على عبدٍ كان لتكبيره وتسبيحه دوِي كدوي النحلِ»(٣).

عن أبي هريرة ﷺ قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ [الزّلزلة، الآية: ٤] قال: «**أتدرون ما أخبارها؟**»

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «**هو أنْ تشهد على كلِّ عبدٍ وأمةٍ بما عُمِل على ظهرها. تقول: عملت يوم كذا وكذا فهذه أخبارها**».

الصلاة تحفظ أعضاء السجود من النار

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ويضربُ الصراطُ بين ظهراني**

(١) رواه الطبراني.
(٢) صعود الأقوال ورفع الأعمال.
(٣) رواه عبد بن حميد وأبو الشيخ في العظمة.

جهنم فأكونُ أوَّلَ من يجوزُ من الرسلِ بأمتهِ ولا يتكلمُ يومئذٍ أحدٌ إلا الرسل وكلام الرسل: اللهم سلّم سلّم، وفي جهنمَ كلاليبُ مثل شوكِ السعدان، هل رأيتم شوكَ السعدان؟

قالوا: نعم.

قال: فإنها مثلُ شوك السعدان غير أنهُ لا يعلمُ قدرَ عظمها إلا اللهُ تعالى تخطُف الناسَ بأعمالِهِمْ فمنهم منْ يوبقُ - أي يهلك - بعملهِ ومنهُم من يُخردِل ثم ينجو حتى إذا أرادَ اللهُ رحمةَ من أرادَ من أهلِ النارِ أمرَ الملائكة أن يخرجوا من النار من كان يعبُدُ الله فيعرفونهم بآثارِ السجودِ وحرمَ اللهُ على النار أن تأكلَ موضعَ السجودِ فيخرجون وقد امتُحشوا - أي احترقوا - فيصبُّ عليهم ماء الحياة فينبتون نبات الحبةِ في جميل السبيل»[١].

صحبة النبي الكريم بكثرة السجود

عن أبي فاطمة رضي الله عنه قال: قال نبي الله ﷺ: «يا أبا فاطمة إنْ أرَدتَ أنْ تلقاني فأكثِرْ السجودَ»[٢].

تكرار الصلاة في اليوم

جعل الله الصلاة على المؤمنين كتاباً موقوتاً، وأمرهم بإقامتها حين يمسون وحين يصبحون وعشياً وحين يظهرون، كررها خمس مرات في اليوم لتكون حمَّاماً روحياً للمسلم يتطهَّر بها من غفلات قلبه وأدران خطاياه، وقد مثَّل النبي ﷺ هذا المعنى في حديثه الشريف فقال: «أرأيتم لو أن نهراً على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى على بدنه من درنه شيء؟ قالوا: لا. قال: كذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»[٣].

---

(١) أخرجه الشيخان.
(٢) رواه أحمد.
(٣) متفق عليه.

وأي إنسان يمر عليه يوم من غير خطايا وهفوات؟!

لقد خُلق هذا الإنسان خلقاً عجيباً فيه من الملاك روحانيته ومن البهيمة شهوتها ومن السباع حميتها، وكثيراً ما تغلبه الشهوة ويستفزه الغضب ويجذبه تراب الأرض الذي خلق منه فيقع في الأخطاء ويتردى في الخطايا، وليس العيب أن يخطىء الإنسان فكل بني آدم خطاء، ولكن العيب أن يتمادى في الخطأ ويستمر في الانحدار حتى يصير كالأنعام وأضل سبيلاً، وفي هذا المعنى يقول الرسول صلوات الله عليه: «**لله ملكاً ينادي عند كل صلاة: يا بني آدم قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها فأطفؤها**»[1].

إنها نار موقدة تطلع على الأفئدة وتلفح القلوب والعقول، والصلاة هي مضخة الإطفاء التي تخمد هذه النار وتمسح دخانها وسوادها وتغسل أثرها من بين جوانح الإنسان.

الصلاة نظافة وتجمل

ولكن الصلاة في الإسلام ليست عبادة روحية فحسب، إنها نظافة وتطهر وتزين وتجمل، اشترط الله تعالى لها تطهير الثوب والبدن والمكان من كل خبث مستقذر وأوجب التطهر بالغسل والوضوء. فمفتاح الجنة الصلاة ومفتاح الصلاة الطهور ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة، الآية: ٦] وقد أمر المسلم أن يأخذ زينته للصلاة ويذهب إلى المسجد طيب الرائحة حسن الملبس وسن له يوم الجمعة أن يغتسل ويتطيب ويلبس أحسن ما عنده، ولا يمضي إلى المسجد في ثياب مهنته.

مقدمة السجود لله: أساس الخضوع لله تعالى هو الشعور الواعي بوحدانيته تعالى وقهره لكل من في الوجود، وما في الوجود فكلهم عبيده

(١) رواه الطبراني في الأوسط ورجال إسناده محتج بهم في الصحيح كما في الترغيب.

وخلقه وفي قبضة قدرته وسلطانه.

أساس الخضوع لله الواحد القهار هو الشعور الذاتي بالحاجة إلى من يملك الضر والنفع والموت والحياة، ومن له الخلق والأمر ومن بيده ملكوت كل شيء ومن إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون.

الشعور بالضعف أمام من يملك القوة كل القوة، والشعور بالعجز أمام من يملك القدرة كل القدرة، والشعور بالفقر أمام من يملك الغنى كل الغنى، وكلما ازداد الإنسان معرفة بنفسه ومعرفة بربه ازدادت هذه المشاعر وضوحاً وقوة، فقوي اعتماده على الله واتجاهه إليه وتوكله عليه ومد يد الضراعة إليه ووقوفه ببابه سائلاً داعياً منيباً إليه.

الصلاة رياضة بدنية

والصلاة تغرس في مقيمها الروح الرياضية وتقوي عضلات بدنه، فهي تتطلب اليقظة المبكرة والنشاط الذي يستقبل اليوم من قبل طلوع الشمس. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام في ركوعه مستوي الظهر منتصب الساقين وإذا سجد جافى عضديه عن فخذيه وإذا خر من القيام للسجود أو نهض من السجود للقيام لم يعتمد على يديه.

الصلاة قوة روحية ونفسية

والصلاة الحقيقية التي يريدها الإسلام تمد المؤمن بقوة روحية نفسية تغنيه على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البَقَرَة: الآيتان ٤٥، ٤٦].

وكان النبي إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة[1].

وفي الصلاة يفضي المؤمن إلى ربه بذات نفسه ويشكو إليه بثه وحزنه

(١) رواه أحمد وأبو داود عن حذيفة: كان إذا حزبه أمر صلى، وإسناده صالح.

ويستفتح باب رحمته ويستنزل الغيث من عنده: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى، الآية: ٢٨] .

وفي الصلاة يشعر المؤمن بالسكينة والرضا والطمأنينة ـ إنه يبدأ صلاته بالتكبير فيحس أن الله أكبر من كل ما يروعه ومن يروعه في هذه الدنيا، ويقرأ فاتحة الكتاب فيجد فيها تغذية للشعور بنعمة الله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ [الفَاتِحَة: الآيتان ٢،٣] وتغذية للشعور بعظمة الله وعدله ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفَاتِحَة، الآية: ٤] وتغذية للشعور بالحاجة إلى هداية الله ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفَاتِحَة: الآيتان ٦،٧] .

قال أبو طالب: حدثنا أن المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين في أقطار الأرضين خوفاً منه لأنه تأهب للدخول على الملك فإذا كبّر حجب عنه إبليس وضرب بينه وبينه بسرادق لا ينظر إليه وواجهه الجبار بوجهه فإذا قال: الله أكبر اطلع الملك في قلبه فإذا ليس في قلبه أكبر من الله فيقول الملك صدقت الله أكبر في قلبك، فيتشعشع في قلبه نور يلحق ملكوت العرش فينكشف له بذلك ملكوت السموات والأرض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات، قال: وإن الغافل الجاهل إذا قام إلى الوضوء احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل، فإذا كبّر اطلع في قلبه فإذا كل شيء في قلبه أكبر من الله عنده فيقول الملك: كذبت ليس الله في قلبك كما تقول، فيثور في قلبه دخان يحلق بعنان السماء فيكون حجاباً لقلبه عن الملكوت، قال: فيرد ذلك الحجاب صلاته وتلتقم الشياطين قلبه ولا تزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس وتزين له حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما فعل[1].

(١) شرح الحكم العطائية.

الصلاة قوة خلقية

وفي هذه القوة مدد، أي مدد لضمير المؤمن يقوى به على فعل الخير وترك الشر ومجانبة الفحشاء والمنكر، فهي تغرس في القلب مراقبة الله تعالى ورعاية حدوده والحرص على المواقيت والدقة في المواعيد والتغلب على نوازع الكسل والهوى وجوانب الضعف الإنساني، وفي هذا قول القرآن الكريم: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج، الآيات: ١٩ ـ ٢٣] وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العنكبوت، الآية: ٤٥] .

وما نرى من مصلين قد ضعفت أخلاقهم أو انحرف سلوكهم فلا بد أن صلاتهم جثة بلا روح، وحركات جسم بلا حضور عقل ولا خشوع قلب[1] وإنما الفلاح للمؤمنين، الذين هم في صلاتهم خاشعون، وأما المتظاهرون بالصلاة دون أن ترهق قلوبهم أو تفتح للخير صدورهم فما أحقهم بوعيد الله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون، الآيات: ٤ ـ ٧] .

الصلاة تربية عسكرية

وفي الجماعة نوع من التربية العسكرية التي قوامها الطاعة والنظام، وهل رأيت نظاماً أكمل وأجمل من صفوف الجماعة؟! فقد وقفت مستقيمة بلا عوج، متلاصقة بلا فرجة، المنكب إلى المنكب والقدم إلى القدم ينذرهم إمامهم أن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج ويعلمهم أن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة وتمامها، ويحدثهم عن نبيهم أن سدوا الفرج وسووا الصفوف ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، فإذا كبّر الإمام كبّروا وإذا قرأ أنصتوا وإذا ركع ركعوا وإذا سجد سجدوا وإذا سلّم سلّموا.

---

(١) من كتاب (دع القلق) لديل كارينجي، ص: ٩٩.

من خرج على هذا النظام فكأنما خرج عن الإنسانية، يقول الرسول ﷺ: «**ألا يخشى إذا ركع أحدكم أو سجد قبل الإمام أن يمسخ الله رأسه رأس حمار**»(١).

إحضار القلب في الصلاة

ينبغي للمصلي أن يهم بإحضار قلبه في الصلاة لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه، الآية: ١٤] فإن لم يحضر قلب المصلي في صلاته كان من الغافلين.

قال عليه الصلاة والسلام: «**فأما الركوع فعظّموا فيه الرب**».

وكان عليه الصلاة والسلام إذا ركع قال: «**اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلتُ أنت ربي خشع سمعي وبصري ولحمي ودمي وعظامي لله رب العالمين**»(٢).

لا تلتفت لغير الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ العبدَ إذا قام إلى الصلاةِ ـ أحسبه قال ـ فإنَما هوَ بينَ يدي الرحمٰنِ تباركَ وتعالى فإذا التفت يقول الله تبارك وتعالى: إلى من تلتفت؟ إلى من هو خيرٌ مني؟ أقبل يا ابن آدم فأنا خيرُ ممن تلتفت إليه**»(٣).

صفة صلاة حاتم الزاهد

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البَقَرَة، الآية: ٣].

ذُكر أن حاتماً الزاهد دخل على عاصم بن يوسف فقال له عاصم: يا حاتم هل تحسن أن تصلي؟

---

(١) رواه الشيخان وأصحاب السنن.

(٢) رواه النسائي.

(٣) قال المنذري: رواه البزار.

فقال: نعم.

قال: كيف تصلي؟

قال: إذا تقارب وقت الصلاة أسبغُ الوضوء ثم أستوي في الموضع الذي أصلي فيه حتى يستقرَّ كلُّ عضوٍ مني، وأرى الكعبة بين حاجبي والمقام بحيال صدري والله فوقي يعلم ما في قلبي وكأنَّ قدميَّ على الصراط والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت خلفي وأظن أنها آخِر صلاة ثم أُكبِّر تكبيراً بإحسان، وأقرأ قراءة بتفكر وأركعُ ركوعاً بالتواضع وأسجُدُ سُجوداً بالتضرُع، ثم أجلس على التمام وأتشهد على الرجاء وأسلِّم على السنَّة ثُمَّ أُسلمها للإخلاص وأقوم بين الخوف والرجاء ثُمَّ أتعاهدُ على الصبر.

قال عاصم: يا حاتم أهكذا صلاتك؟

قال: كذا صلاتي منذ ثلاثين سنة.

فبكى عاصم وقال: ما صلَّيت من صلاتي مثل هذا قط[1].

صحابي اختار مرافقة النبي الكريم في الجنة

ربيعة بن كعب

قال ربيعة بن كعب: كنت فتى حديثَ السِّن لمَّا أشرقت نفسي بنورِ الإيمان وامتلأ فؤادي بمعاني الإسلام.

ثمَّ ما لبثَ أن عرضتُ نفسي على رسول الله ﷺ ورجوته أن يقبلَني فلم يخيبْ رجائِي ورضي بي أن أكون خادماً له أسيرُ معهُ أينما سار وأدور في فلكِه كيفما دار، وما سألني حاجة من حاجاته إلا وجدني مسرِعاً في قضائها.

وكُنتُ أخدِمُه نهارهُ كلّهُ فإذا انقضى النهار وصلى العشاء الأخيرة

(١) حكايا الصوفية.

وأوى إلى بيته أهُمُّ بالانصراف لكن ما ألبث أن أقول في نفسي: إلى أينَ تمضي يا ربيعة؟ فلعلها تعرض لرسول الله ﷺ حاجة في الليل، فأجلس على بابه ولا أتحول عن عتَبة بيته.

وقد كان رسول الله ﷺ يقطع ليله قائماً يصلي فربما سمعته يقرأ بفاتحة الكتاب فما يزال يكررها حتى أملُّ فأتركه أو تغلبني عيناي فأنام.

الرسول الكريم يجازي من يخدمه

وقد كان من عادة رسول الله ﷺ أنه ما صنع له أحدٌ معروفاً إلا أحبَّ أن يجازيه عليه بما هو أجلُّ منه.

فقال عليه الصلاة والسلام: «**يا ربيعةَ سلْني شيئاً أعطيهِ لك**».

فقال: يا رسول الله أسألك أن تدعو ليَ الله تعالى أن يجعلني رفيقاً لك في الجنة.

فقال: «**من أوصاك بذلك؟**»

فقال ربيعةُ: لا والله ما أوصاني به أحدٌ ولكنك حين قلت لي: «**سلني أعطيك**» حدثتني نفسي أن أسألك شيئاً من خير الدنيا، ثم ما لبثت أن هُديت إلى إيثار الباقية على الفانية فسألتك أن تدعو الله لي أن أكون رفيقك في الجنة.

فصمت رسول الله ﷺ طويلاً ثم قال: «**أو غير ذلك يا ربيعة؟**»

فقلت: كلا يا رسول فما أعدل بما سألتك شيئاً.

فقال: «**إذن أعني على نفسك بكثرة السجود**».

الرسول الكريم يزوج ربيعة

قال رسول الله ﷺ: «**ألا تتزوج يا ربيعة**».

فقال: بلى يا رسول الله ولكن من يزوجُني وأنا كما تعلمُ ليس عندي ما أمهرُ به الزوجة ولا ما أقيم حياتها به.

فقال: «**انطلق إلى أهل فلان وقلْ أن رسول الله يأمُركم أن تزوجوني فتاتكم فلانة**» فذهبتُ على استحياء، وقلت لهم: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليكم لتزوجوني فتاتكم فلانة.

فقالوا: مرحباً برسولِ الله ومرحباً برسولِ رسولِ الله، والله لا ترجعُ إلا بحاجتك وعقدوا له عليها.

فجمع له رسول الله ﷺ وزنَ نواة ذهباً مهراً للعروس.

فصنعت وليمة العرس بكبش عظيم أُهديَّ إليَّ من الصحابة ودعوت رسول الله ﷺ فأجاب دعوتي[١].

سجود بعد الممات

أخرج عن حفص بن عبد الله قال: رأيت أبا زرعة في النوم بعد موته يصلي في السماء الدنيا بالمكانة الرفيعة إماماً للملائكة.

فقلت: بم نلت هذا؟

قال: كتبتُ بيدي ألف ألف حديث أقول فيها: عن النبي ﷺ.

وقد قال النبي ﷺ: «**من صلَّى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشراً**»[٢].

ما يرشد إليه الحديث تربوياً ودعوياً:

أقول:

١ ـ السجود لله تعالى يقربك من مولاك لتكون عبداً له حقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذّاريَات، الآية: ٥٦].

٢ ـ السجود لله يدخلك في مدارج الطائعين لأنه أمرك تعالى بالسجود فسجدت فكنت من أهل الرحمة وأمر إبليس فتكبر فطرد من رحمته.

---

(١) صور عن حياة الصحابة.

(٢) الصلاة على النبي ﷺ، عبد الله سراج.

٣ ـ السجود لله تعالى يعلمك معنى العبودية الحقيقية كلما أكثرت من السجود وأطلت من السجود قربت من مولاك، وتتذوق معنى العز بالله والفخر بالله تعالى لأنك ذليل لله منكسر بين يديه.

٤ ـ عند سجود العبد يرفع الحجاب بينه وبين ربه وتنزل عليه الرحمة على قدر توجهه وإخلاصه لسيده. ويباهي تعالى الملائكة بعبده: انظروا إلى عبدي ترك كل شيء وأتى لعندي، هذا الذي قلتم فيه يسفك الدماء ونظرتم إلى عبادتكم وتسبيحكم أشهدتكم أني قد غفرت له. يا أخي يأتيك الغفران من سيدك على قدر طاعتك وانصياعك لأوامره.

٥ ـ يكفيك فخراً وسعادة ومباهاة عند صلاتك وعبادتك أنك تحت أنظار مولاك وإنك ما تكلمت بكلمة ورجوت أمراً إلا كان لك نعم السميع والمجيب.

وليكن لسان حالك وأنت في السجود:

أنت لي سيداً وأنا لك عبداً.

أنت لي حاكم وأنا بين يديك محكوم

وأنت لي ملكاً وأنا عند بابك سائلاً.